Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صوتها فاذا هي تضطرب اضطرابا عنيفا ، وتسح دمعا غزيرا ، وترسل أنفاسا عنيفة متقطعة وأنا أجثو إلى جانبها وأضمها وأقبلها ... وأوت إلى ذراعي كأنها الطفل فاستسلم إلى أمه الرءوم ، وأطمأن رأسها إلى كتفي ، وقضت كذلك لحظة ما نسيت ولن أنسى عذوبتها "

فالى جانب الاستخدام الملح للمفعول المطلق لتأكيد الدلالة الفعلية الحاسمة والمضى فى استثارة معطيات اللمس الحسى نجد أقصى درجات تشعير الموقف والوصول به إلى ذروته المأساوية معا عند وصف الزمن بالعذوبة ، مما ينتمى لما لاحظناه من قبل من تراسل الحواس وتجسيد المعنويات ، على أن عذوبة اللحظات الفائقة عند طه حسين من أجمل وأوقع اكتشافاته فى شعرية الحياة والفن ، وهى تمتد لتتمثل أيضا فيما يجلوه من آثار التراث الأدبى ، فمازلت أعجب من اصطفائه لهذا البيت من الشعر القديم وتكراره له : -

منى إن تكن حقا تكن أعذب المنى * وإن لا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وكم استكثرت على الشاعر القديم أن يقع على وصف المنى بالعذوبة والزمن بالرغد فى بيت واحد ، حتى ظننته من صنع طه حسين ، ولكن تأكد لى أنه مكتشفه لا منتحله ، ونحن دائما نردد من التراث ما نبعث فيه حياة جديدة ، ونختار منه ما يتلاءم مع مزاجنا وذوقنا ، وكان طه حسين فذا فى قدرته على اتخاذ الأصوات القديمة والنطق بها كما اتخذ صوت أبى العلاء ، وكما اتخذ قصصيا هذا الصوت الذى لا يصفه بأنه غناء ولا توقيع ، ولا بأنه حديث ولا ترجيع ، وإنما بوصف عجيب طريف ، يمسح عنه شيئا من قداسة الغيب ليضفى عليه قدرا آخر من قداسة الوجود وهو " الدعاء " المنسوب للكروان . على أن العذوبة التى يصف بها تلك اللحظة ليست كلمة عفوية عابرة ، بل هى مقصودة مرسومة ، تتأكد إذا تأملنا المشهد من الخارج فى بعده التشكيلى المجسد فى الأختين المتعانقتين ، وإذا استشرفناه من الداخل فى تمثيله لأنبل ما فى العواطف من حلاوة وصفاء ، وأبقى ما في الحياة من ماء لا يعتصر من الأفراح فحسب ، بل يعتصر قبل كل شيء من تلك اللحظات المأساوية الضائقة التى تتوحد فيها المشاعر والمصائر ، والإرادة المختصمة مع الماضى والمطلة على المستقبل .